

# فن الخط العربي من خلال المصاحف والمخطوطات القرآنية



يحيى عبدالرحمن القحطاني

## نبذة عن تاريخ الكتابة العربية :

تُرْجَعُ بعض المصادر الإسلامية أصل الكتابة العربية إلى نبيّ الله إسماعيل بن إبراهيم، عليهما الصلاة والسلام، ومن المصادر ما يُرجع أصلها إلى الأنبار:

ذكر ابن خلكان أول من كتب بالعربية، فقال : إسماعيل، عليه السلام. وقيل أول من كتب بالعربية من قريش "حرب بن أمية بن عبد شمس"، أخذها من بلاد الحيرة عن رجل يُقال له "أسلم بن سدره"، وسأله : ممن اقتبسها، فقال : من واضعها، رجل يُقال له "مرامر بن مروة" وهو رجل من أهل الأنبار، فأصل الكتابة في العرب من الأنبار. وقال الهيثم بن عديّ : وكان لحمير كتابة يسمونها المسند، وهي حروف متصلة غير منفصلة، وكانوا يمنعون العامة من تعلمها. وجميع كتابات الناس تنتهي إلى اثني عشر صنفاً، وهي : العربية - الحميرية - اليونانية - الفارسية - الرومانية - العبرانية - الرومية - القبطية - البربرية - الهندية - الأندلسية - الصينية. وقد اندثر كثير منها، وقلّ من يعرف شيئاً منها. ومن الآراء ما ذهب إلى أنّ الخطّ العربي نشأ عن الكتابة الحميرية "المسند"، ومنها ما ذهب إلى أنّ الخط العربي تولّد من الكتابة السريانية.

ولكنّ الدراسات العلمية الحديثة القائمة على مقارنة الأبجديات السامية الجنوبية وغيرها من الأبجديات الآرامية، بالاستناد إلى الكتابات التي اكتشفت حتى الآن، ترجّح أنّ الخط العربي مشتقّ من الخط النبطي، نسبة إلى الأنباط، الذين سكنوا المنطقة الأثرية المعروفة اليوم باسم البتراء Petra في الأردن، منذ القرن الثاني قبل الميلاد .

ولا يذكر فنّ الخط العربي إلاّ ويذكر معه أعلام الخطاطين الأوائل مثل الضحاك ابن عجلان، وإسحاق بن حماد، ومحمد بن مقلة، والحسن بن مقلة، وابن البواب البغدادي الذي قال فيه ابن كثير : <صاحب الخط المنسوب علي بن هلال أبو الحسن ابن البواب، صاحب أبي الحسين بن سمعون الواعظ، وقد أثنى على ابن البواب غير واحد في دينه

وأمانته. وأما خطه وطريقته فيه، فأشهر من أن ننبه عليها، وخطه أوضح تعريياً من خط أبي عليّ بن مقلّة، ولم يكن بعد ابن مقلّة أكتب منه، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم، إلا القليل. قال ابن الجوزي : توفي يوم السبت ثاني جمادى الآخرة ٤١٣ هـ.

وقال القنوجي، في أبجد العلوم : <علي بن هلال بن البواب البغدادي هو الذي لم يوجد في المتقدمين ولا في المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه، وإن كان أبو علي ابن مقلّة أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وأبرزها في هذه الصورة، ولكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها بالحلاوة، وكان شيخه في الكتابة ابن أسد الكاتب البزار البغدادي.>

يتبيّن مما تقدّم أنّ الاهتمام بالخط العربي والتفنن فيه قد تولّد عن تعلق المسلمين بالقرآن الكريم، ويذكر في هذا المقام مالك ابن دينار (ت. ١٣١هـ) الذي كان من كبار الزاهدين وكان يتعيّش من كتابة المصاحف ولم تكن له حرفة أخرى يعيش بها.

ظهر الخط العربي حتى قبل أن يلمع نجم الإسلام، وهو من أروع فنون الخط في العالم. بعد مضي حوالي ١٥ قرناً على انتشار هذا الفن وتطوره بات لؤلؤة لامعة في تاريخ الحضارات العالمية.

الصين من أوائل البلدان التي أشرقت عليها شمس الإسلام وقد دخلها الخط العربي قبل أكثر من ألف سنة كوسيلة لنشر الدين الحنيف، وهناك كثير من المساجد الصينية المزخرفة بالنقوش العربية، ومن ذلك الكتابات العربية المنقوشة على الألواح الصخرية في حرم مسجد تشينغجینگ بمدينة تشيوانتشو في مقاطعة فوجيان الذي بدأ بناؤه في السنة التاسعة بعد الألفية الأولى للميلاد، وهي كتابات بالخط الثلاثي الغليظ القوي والخط الكوفي العريق. ويصف كتاب "تاريخ تينغ" الذي

كتبه يوه كه في سنة ١٩٢م الكتابات العربية في مسجد هوايشنغ بمدينة قوانغتشو قائلاً: في المسجد نصب صخري يبلغ ارتفاعه عشرات الأمتار وتلاحظ عليه كتابات غريبة وهي تشبه خط "تشوان تشو" (نوع من الخط الصيني القديم).. وكذلك أشار نصب "كتاب تجديد مسجد تشينغجینگ" الذي كتبه وو جيان في سنة ١٣٤٩م إلى أن الخط العربي يكتب أفقياً وينقسم إلى ثلاثة أساليب كتابية: تشوان وتساو وكاي (خطوط صينية). هذا دليل على أن الخط العربي انتشر واستخدم في الصين منذ حوالي ألف سنة، وجدير بالذكر أن الخط العربي الذي ينتمي إلى حضارة وافدة ما إن انتقل إلى التربة الخصبة للحضارة الصينية العريقة حتى تأثر بخط لغة هان (الصينية) مما شكل فن خط خليطاً من روائع فنون الخط، ألا وهو فن الخط العربي ذي الخصائص الصينية، وهو أسلوب خاص له شعبية واسعة بين مسلمي الصين، فهو جزء من الحضارة الصينية كما أنه زهرة في بستان الحضارة الإسلامية ولكن فن الخط العربي هذا لم يحتل مكانته المستحقة في مجال الخط الصيني ولم يترك تأثيرات بين المسلمين خارج الصين. وما يدعو للأسف هو أن هذا الفن ليست له معايير قياسية ولذا لم يستطع أن يتقدم إلى الأمام بعد تطوره إلى حد ما، وقد بدا في حالة ركود في أواسط القرن العشرين الميلادي. أما في فترة "الثورة الثقافية" فلم يكن ممكناً أن يفلت هذا الفن الوارد من الخارج من اللوم في وقت تعرضت فيه لآلئ الحضارة الصينية للنقد باعتبارها من حثالة التاريخ.

## مميزات الخط العربي :

يمتلك الخط العربي و الحروف العربية من الميزات و الخصائص مما لا يتوافر في حروف أية لغة أخرى من لغات العالم ... ويمكننا الإتيان على ذكر بعضها مثل: قابلية أحرف الخط العربي للتمديد والاستطالة مما يتعذر بالنسبة لأحرف لغات العالم الأخرى . وتغيرُ جمالية الكلمة بتغيير مواقع الحروف فحروف الخط العربي تقبل كتابتها بأشكال متعددة دون أن تفقد خصائصها أو ضوابطها. وقابلية أحرف الخط العربي للإيجاز والاختزال مما يسهل الكتابة ويوفر الجهد والنفقات فكلمة شمال - على سبيل المثال لايتجاوز عدد حروفها خمسة حروف ، بينما "Shamalunn" تحتاج إلى تسعة حروف لكتابتها . وكذلك تشابه معظم الحروف العربية فيما بينها يُسهّل على الأطفال التعلم والكتابة ... وهكذا فمن تعدد أشكال الحروف العربية، إلى جمالياتها المختلفة، إلى تزييناتها و تطبيقاتها المتعددة، إلى صلاحيتها المعروفة في علوم الحساب (حساب الجمل)، و استعمالها في الدلالة على الأرقام الحسابية ... إذ فيها تسع حروف للأحاد، و تسع حروف للعشرات، و تسع حروف للمئات، و واحد للألف ... الأمر الذي جعلها تستخدم في تأريخ الأحداث و الوفيات و غير ذلك من الأمور ...

فالحروف العربية تعد عنصراً هاماً من عناصر الزخرفة العربية و الإسلامية التي اشتهر بها الفنانون العرب و ابتدعوها و وصلوا إلى درجة عالية من الإتقان... حتى كثرت الإبداعات الزخرفية و اشترك رسمها وتزيينها في معظم أنواع الخطوط الكوفية و غيرها.

## أنواع الخط العربي:

لا بد من القول بأن الخط العربي رغم صعوبة كتابة بعض أنواعه ، إلا أنه يمكن تعلم الكثير منها بالصبر والميل والمران والمثابرة .. بل وإن إجادة معظم أنواع الخط العربي إجادة تامة يمكن بلوغها للإنسان المقتدر الموهوب .. فتعلم نوع واحد أو نوعين من الخطوط العربية تبني أساساً متيناً ينطلق منه المتعلم لتعلم الأنواع الأخرى بسهولة ويسر . و للخط العربي أنواع كثيرة وصلت إلى الخمسين نوعاً ذكرنا معظمها في كتابنا "

تاريخ الخط العربي بين الماضي والحاضر " الذي يقع في ستمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير والإنجاز الضخم استغرق تأليفه خمسة عشر عاماً ، والذي هو بصدد الإنتهاء وسينزل قريباً إلى الأسواق بإذن الله .

قلنا أن للخط العربي أنواع كثيرة وصلت إلى الخمسين نوعاً .. لكنها ظلت تخضع للتطوير والتحسين والدمج — بسبب أن معظمها لم يكن بينها فروق في الخصائص — حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن ، كالخط الكوفي والثلاثي والرقعي والنسخي والديواني والفارسي الخ.... وسنجيء فيما يلي على ذكر كل نوع منها بشكل موجز ومختصر :

- **الخط الكوفي :** وهو أقدم الخطوط العربية جميعاً بل هو أصلها ، وقد مر هذا الخط بتطورات عديدة ، وبقي يستعمل حتى الآن على الرغم من عدم إجادة معظم الخطاطين لأصول كتابته ولصعوبته وتشعب فروعه . لأن الكتابة العربية بدأت به حين لم يكن تنقيط الحروف — أي إعجامها — معروفاً .

- **الخط الثلثي :** وهو من الخطوط القديمة ، ويقال أنه خط سوري شاميّ المنشأة ، خضع هذا الخط للتطوير والتحسين ابتداءً من عصر ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصي وغيرهم .

- **الخط النسخي :** سُمي بالخط النسخي لأن الورّاقين والنسّاخ كانوا ينسخون المصاحف منذ القرن الخامس الهجري ، فغلبت عليه تلك التسمية . ويقال أيضاً أنه خطٌ سوريّ الإبتكار شاميّ المولد والنشأة ، ولكن الأرجح أن ابن مقلة هو الذي اشتقه من بعض الخطوط القديمة ( كالخط البديع والطومار والجليل ) ، ونال بعد ذلك حظاً وافراً من التجويد والتحسين والتطوير في شمال بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري .

- **الخط الفارسي :** يقال أن واضعه هو ( حسن فارسي ) كاتب عضو الدولة الديلمي في أواخر القرن الرابع الهجري . ويعرف أيضاً بإسمين آخرين هما ( خط التعليق وخط النسّعليق ) . وقد شاع في إيران بشكل واسع وكذلك في بعض البلاد العربية في بداية

القرن السابع الهجري وقد طوره وحسنه وهذا به الخطاط الفارسي ( مير علي سلطان تبريزي ) سنة ٩١٩ هجرية . يعرف هذا الخط في بلاد الأتراك باسم ( خط التعليق ) ، وفي بلاد فارس باسم ( خط المستعليق ) ، وفي البلاد العربية باسم ( الخط الفارسي ) . وهو يكتب بقصبتين إحداهما ثلث الأخرى ، وما زالت إيران وبعض دول آسيا تكتب لغتها الفارسية حتى الآن بحروف هذا الخط العربي .

- **الخط الرقعي :** ابتدعه الأتراك ، وكان أول ظهور له سنة ٨٨٦ هجرية بشكله الأولي ( وهو مزيج بين نسخ وهميون ) . تطور هذا الخط ووضع قواعده بشكلها النهائي الخطاط ( أبو بكر ممتاز ابن مصطفى أفندي المستشار ) معلم السلطان ( عبد المجيد خان العثماني ) سنة ١٢٨٠ هجرية ويمتاز بسهولة كتابته وسهولة قراءته ، وهو خط الكتابة اليومية العادية .

- **الخط الديواني :** وهو ذروة الإبداع التركي أيام العثمانيين ، وفي مقدمة الخطوط التي ساهموا في وضعها . ظهر هذا الخط سنة ٨٥٧ هجرية ، يقال أن واضع قواعده الخطاط ( إبراهيم منيف التركي ) كاتب السلطان محمد الثاني في عهد السلطان محمد الثاني . ثم طوره وطور حروفه الوزير الخطاط ( أحمد شهلا باشا التركي ومحمد عزت ومحمود شكري وغيرهم ) ، وهو من مجموعة الخط الهمايوني أي ( المقدس ) التي كانت تستعمل في القصور السلطانية .

- **الخط الديواني الجلي :** وتسميته بالخط الديواني الجلي خطأ شائع ، لأن كلمة " جلي " تعني الواضح وهي تطلق على الخط حينما يكتب الخط بقصبة أعرض من القصبة المعتادة مثل الخط الثلثي الجلي ، بينما نحن هنا أمام خط جديد كل الجودة ، صحيح أنه خط تحدر من الخط الديواني في رسم حروفه ورسم انحناءاته بل ويشبهه... لكنه خط جديد يختلف عن الخط الديواني في رسم بدايات حروفه وفي تشكيله وهو يكتب بقصبتين بينما يكتب الخط الديواني بقصبة واحدة ، لذا فإن الأخرى بهذا الخط أن يتخذ تسمية جديدة مثل ( الخط الديواني الملحق ) .

- **خط الإجازة** : وهو مزيج من الخط الثلثي والخط النسخي وهو يشبههما تماماً ، ولايختلف عنهما إلا في بدايات الأحرف العمودية مثل الألف واللام التي تأخذ تعريقة خاصة . له تسميات أخرى كالخط الريّاسي والريحاني والهاشمي والعلامي وخط التواقيع ، ولكن تسميته بخط الإجازة غلبت عليها جميعاً لأنه كان يكتب به الإجازات . و هو خط لم يكتب له الذبوع والانتشار .

ونأت الآن على تعريف ثلاثة خطوط عربية أخرى ليتعرف عليها القارئ رغم عدم استعمالها في الوقت الحاضر .

- **خط الشكسته** : وهو أقدم الخطوط التي كانت تستعمل في بلاد فارس ، وتعني كلمة شكسته بالفارسية ( المكسور ) ، لم ينتشر هذا الخط في غير بلاد فارس لصعوبة قراءته .

- **الخط السنبلبي** : وهو من الخطوط التركية ، ابتكره الخطاط ( عارف حكمت ) سنة ١٩١٤ م ولم يكتب له الإنتشار أيضاً .

- **الخط المسلسل** : سمّي بالمسلسل لتسلسل حروفه واندماج نهاياتها العالية ببعضها البعض ، يقال أن مبتكره ابن البواب وقد اشتقه من الخط الثلثي ، فهو شبيه تماماً بالخط الثلثي و لا يختلف عنه إلا في نهايات الحروف العالية .

و تجدر الإشارة إلى أن جميع هذه الخطوط لها أوزان وقواعد وضوابط عند الكتابة وقد جننا على شرحها جميعها بالتفصيل في كتابي ( تاريخ الخط العربي بين الماضي و الحاضر )

عندما دخلت الكتابة الحجاز وانتشرت الكتابة في مكة المكرمة، وتعلّمها بعض الصحابة حدّث لها بعض من التعديل يتناسب مع البيئة الجديدة، فكتبوا القرآن الكريم بعد نزوله من الوحيّ بأمر من النبيّ صلّى الله عليه وسلم، وهو يُملِّيه عليهم فتأنّقوا في الكتابة، واعتنوا في التّدوين إكراماً وإجلالاً للكلام المُنزّل من ربّ العالمين، وغدت الكتابة المكية ذات أسلوب جديد وشكل مُعدّل



وحرف متطور، وأصبح لهذا الخط الجديد الشرف الأكبر والفضل العظيم بأنه دَوَّن القرآن الكريم.

ومع تطور الحياة الأدبية والعملية كان لا بد من الانتقال بالكتابة في يُسرٍ ودون عناء، فلزم أن تتطور الكتابة لهذه الأغراض إلى كتابة لينة مُخففة أكثر من قبل لتسمّى فيما بعد بالكتابة اللينة، أو خط التحرير، أو خط نسخ الكتب، ولذا أخذ الخط طابعاً مغايراً للكتابة اللينة فرضته طبيعة تنفيذه، فسُمّي الخط الجاف أو الخط اليابس أو الخط التذكري، وظلت صورته هذه تحفر في المواد الصلبة كأحجار المباني وشواهد القبور وغيرها.

أما المصاحف فقد كانت تحتاج في كتابتها إلى شيء من العناية والرعاية والإجلال، فكتبت بنوع وسط بين اللين واليابس فأخذت من اللين مرونته ومن اليابس هيئته وجلاله، وسُمّي ذلك الخط بالخط المصحفي.

فإن مسيرة الخط العربي مسيرة لتاريخ المسلمين تُبين بامتداداتها وتشعباتها المراحل التي عاشها المسلمون على مدى فترات تاريخها الطويل، فالخط العربي يُمثّل الركيزة الكبرى للفنون الإسلامية ولا يكاد يوجد عمل فنيّ ثم سُميت الكتابة الحجازية التي نالت كثيراً من العناية وفي الكوفة بالخط الكوفيّ ويشتق منه أيضاً الخط الكوفي الهندسي ويستخدم الآن بقلّة، وفي البصرة سُميت بالخط البصريّ، ثم أُطلق الخط الكوفيّ على (الخط الكوفيّ أو البصريّ).

ويمكن إضافة تسميات الخطوط أيضاً التي عرفت ومنها الخط الديواني، ويعد واحداً من أجمل الخطوط، وقد كان سراً من أسرار القصور السلطانية وسمي كذلك لاستخدامه فيما بعد بالدواوين الحكومية والملكية، ويشتق منه الخط الجلي الديواني، وهو يشبه الخط الديواني كثيراً، وتملأ الفراغات بين الحروف بنقط صغيرة.

والخط النسخ الذي يعد أحد الخطوط المشتقة من الخط الثلث وسمي بالنسخ لأن الوراقين أو النساخ كانوا ينسخون به المصاحف.

والخط الرقعة يعد أسهل وأسرع الخطوط في كتابته، لذلك ينتشر في دور الحكومة العربية وبين عامة الناس.

والخط الثلث وهو من أصعب وأرقى الخطوط، ولا يعد الخطاط خطاطاً إلا إذا أجاد هذا النوع بقواعده، ويكتب به أوائل السور واللوحات القرآنية.

من روائع الخط العربي



الرقعة.. بين الجمال و الرشاقة





"تون والقلم وما يسطرون"..  
صور من الإبداع القرآني



ساهر الكعبي - فلسطين  
"بالبر يُستعبد الحر"

محمود العقاد - ٢٨ عاما - سوريا



الإظهار حروف



الشدة حروف

## المراجع

١- بحث : فن الخط العربي من خلال المصاحف والمخطوطات القرآنية

من موقع (على الشبكة العنكبوتية) :



٢- من روائع الخط العربي

من موقع (على الشبكة العنكبوتية) :



٣- مقال بعنوان : (الخط العربي من اللين مرونته ومن اليابس هيئته)

من جريدة الجزيرة.

**1. [www.isesco.org.ma/Arabic\\_noubda.htm](http://www.isesco.org.ma/Arabic_noubda.htm) - 33k /EcrArab/**

**2. [www.chinatoday.com.cn/Arabic/203a1n12/2003n2/2aa6.htm](http://www.chinatoday.com.cn/Arabic/203a1n12/2003n2/2aa6.htm) -**

**25**

**3. [www.ArabianGallery.com](http://www.ArabianGallery.com)**

وصلى الله وسلم على نبيينا محمد

وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..